مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

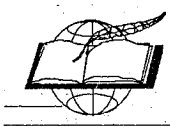

العلامة

جمال الدين القاسمي

حياته ـ آثاره

(١٢٨٣ هـ ـ ١٣٣٢ هـ) (١٨٦٦ م ـ ١٩١٤ م)

مستلّة من مجلة آفاق الثقافة والتراث

العدد « ٢ » عام ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Demirbaş No: 45291
Tasnif No: 922.972
CEM

إعداد

محمد رياض المالح

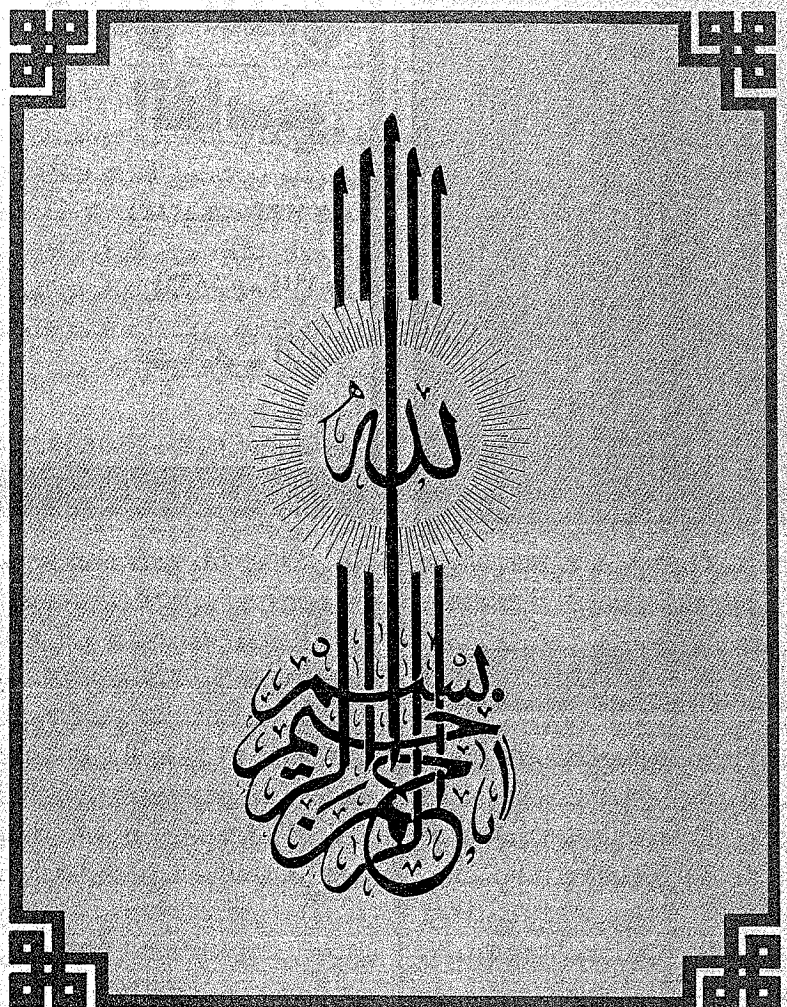
بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ جمال الدين القاسمي

(١٢٨٣ هـ - ١٣٣٢ هـ)

(١٨٦٦ م - ١٩١٤ م)

حياته - آثاره

اعداد: محمد رياض المالح

يعد الشيخ جمال الدين القاسمي أحد أعلام العلماء في بلاد الشام، ومن رجال النهضة العربية الحديثة في نهاية القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين.

تميز بالفكر العميق النيّر المتحرر، والتأليف الواسع.

والمقالة التالية تترجم له وتذكر مصادر ترجمته وتفهرس لآثاره.

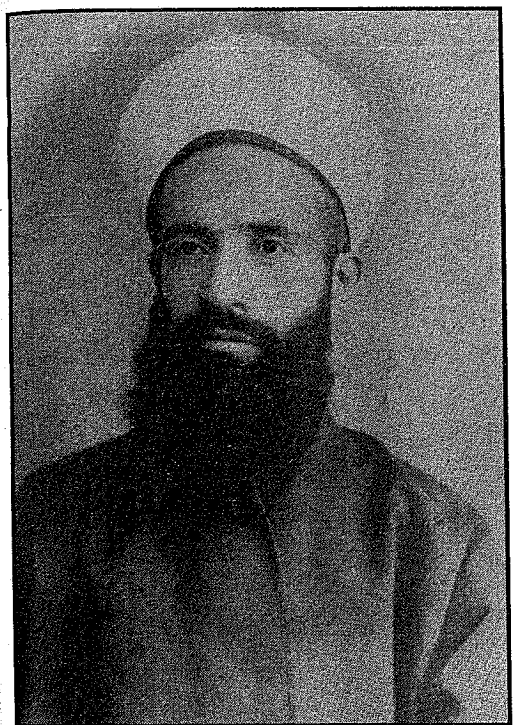

حياته

هو العلامة محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، وإلى جده هذا انتسبت أسرة القاسمي.

ولد بدمشق في ٨ جمادى الأولى من سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م، ونشأ بها في رعاية والده الفقيه الأديب، وعليه قرأ، كما أخذ على جملة من مشايخ دمشق ونزلائها عدداً

من العلوم، على رأسها القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والعربية والجغرافية والهندسة والفلك. وكان من أشهر مشايخه الشيخ أحمد الحلواني، والشيخ سليم العطار، والشيخ بكري العطار، والشيخ محمد الخاني، والشيخ محمود الحمزاوي، والشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ حسن جبينة الدسوقي، وغيرهم. وحضر مجلس الشيخ عبد الرزاق البيطار وتأثر بعقيدته. وصحب الشيخ طاهر الجزائري الذي يعدّ في الشام صنو الشيخ محمد عبده في مصر. واجتمع بهذا الأخير عندما سافر إلى مصر أواخر حياته.

تصدّر لتدريس العلوم الإسلامية والعربية في حياة والده، وصرف عمره في الدرس والتعليم والتأليف والعبادة.

كان الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء عصره المتميزين، عرف بأفكاره النيرة؛ إذ دعا إلى العلم والحرية ونبذ التقليد الأعمى من أجل أن يرجع للإسلام مجده ويرتفع شأنه. ولهذا فقد اتهّم بأنه يريد إقامة مذهب جديد في الدين يُدعى المذهب الجمالي، الأمر الذي أقلق الدولة العثمانية فضيّقت عليه.

وكان يغلب عليه الجد في حياته، يقول الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، يُعرض عن الجاهل المعاند ويدفعه بالتي هي أحسن، نزيه اللسان بعيداً عن المراء والجدل، لايمدح نفسه ولا يعرّض بأحد وكان يقول لطلابه: «ينبغي أن تكونوا بعيدين عن الجدال غير المثمر».

وكان الشيخ جواداً سخياً، مات ولم يترك شيئاً يذكر. كما كان عالي الهمة لايكف عن طلب العلم؛ جاءه أستاذ متخصص بالرياضيات يريد دراسة العربية فأجابه إلى طلبه مشترطاً أن يتعلم عليه الرياضيات.

ولحرصه على تسجيل الفوائد اتخذ مفكرة صغيرة لاتفارقه يسجل فيها كل مايعرض له أو يذكر أمامه من مسائل. وكان ربما خطرت بباله ملاحظة في الطريق فينتحي زاوية حيث يقف ويسجل ماخطر له. ثم جمع هذه الخواطر في كتاب سماه «السوانح».

عفّت نفسه عن الأوقاف ووظائف الحكومة وتجنب التردد على رجال الدولة. وربما كان يزورهم قليلاً لدفع شر عنه.

ولحرصه على العلم وشدة محبته له رحل إلى الحجاز في غير موسم الحج مع صعوبة السفر آنذاك من أجل الاطلاع على كتاب «المحلّى» لابن حزم. كما رحل إلى فلسطين بحثاً عن الكتب النادرة والاجتماع بأهل العلم.

وكان الشيخ دائب الحركة لايبالي بصحة جسمه في سبيل الحصول على العلم والسهر من أجله، فأشفق عليه بعض معارفه ونصحوا له بالسياحة للترويح عن النفس، فاستغرب من تلك النصيحة لما فيها من إهدار للوقت.

وأسلوب الشيخ جمال الدين في الكتابة أسلوب بسيط التأليف بعيد عن التعقيد غالباً إلا أنه أحياناً يتأنق في كتابته ويلتزم أسلوب عصره في السجع. قال يصف بلاغة العرب: «العرب فرسان الكلام، وأرباب النظام، وقد خصوا من البلاغة والحكم مالم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان مالم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب مايقيّد الألباب. وجعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقةً، وفيهم غريزةً وقوةً. يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب. فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب. ويمدحون، ويقدحون، ويتوسلون، ويتوصلون، ويرفعون، ويضعون. فيأتون بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل. فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب. ويذهبون الإحن، ويهيّجون الدمن. ويجرئون الجبان. ويصيّرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيه خاملاً. منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي. ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية».

ثم ترك فيما بعد هذا الأسلوب وأخذ بطريقة الترسل فقال مرة في قوله تعالى: «وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة»: وكيف لايطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولاترى فيها معامل للأسلحة وذخائر الحرب، بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تنتبه من غفلتها، وتنشىء معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تَنَقُّصُ العدو بلادَها من أطرافها درساً يجب أن تتدبره وتتلافى مافرطت به، قبل أن يداهم مابقي منها بخيله ورجاله، فيقضي والعياذ بالله، على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار».

وقد ترك الشيخ عدداً وفيراً من المؤلفات التي سنذكرها في الصفحات التالية، وهي تدل على تمكنه في العلم وسعة اطلاعه وهمته العالية. ولعله بدأ في التأليف منذ كان في السادسة عشرة من عمره، كما سنرى عند الحديث على رسالته «السفينة». والواقع أن مسيرته العلمية ومنهجه الفكري تطورا سريعاً، فإذا به لايرضى عن بعض مؤلفاته، ولهذا كتب يقول في مذكراته اليومية: «كلُّ مؤلف لي قبل سنة ١٣٢٠ هـ فلي فيه وقفةٌ». وقدّ نقل ولده ظافر عن عمه قوله: «كأن هذا الكلام وصيةٌ من أبيك في عدم طبع كتبه التي ألفها قبل هذا العام».

لم يعمر الشيخ جمال الدين القاسمي طويلاً وإنما أدركه أجله سنة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م ولما يصل إلى الخمسين.

وقد فجع لموته محبوه وعارفو فضله، ورثاه كثير من العلماء والشعراء منهم : عبد الرحمن القصار، ومحمد جميل الشطي، وتوفيق البزرة، وأخوه الدكتور صلاح الدين القاسمي، ومحمد بهجة البيطار، وغيرهم.

مصادر ترجمته

- الأدب العربي في سورية لسامي الكيالي ١٥٤ – ١٥٧ دار المعارف بمصر ١٩٦٨.
- الأعلام لخير الدين الزركلي ٢/١٣٥ دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة ١٩٨٩ بيروت.
- أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري : للدكتور عبد اللطيف فرفور ١/ ٦١ – ٦٢ دار الملاح ودار حسان، دمشق ١٤٠٨/١٩٨٧.
- الأعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد ٢/٩٤، مصر ١٣٦٨-١٣٧٤ هـ.
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة ١/٢٩٨-٣٠٨، دار الفكر، دمشق ١٩٨٦.
- تراجم أعيان دمشق : لمحمد جميل الشطي ١١٨، دمشق ١٣٦٧هـ.
- تراجم مشاهير فضلاء القرن الثالث عشر لعلّه لمحمد أديب تقي الدين الحصني مخطوط بالظاهرية رقم ٦٩٧٠ فهرس التاريخ ص ١٥٤ للريان.
- جامع التصانيف ليوسف اليان سركيس ٦٣ و ٨٣ و ٩٦.
- جمال الدين القاسمي لظافر القاسمي مكتبة أطلس، دمشق ١٣٨٥/١٩٦٥.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ١/٤٣٥ مجمع اللغة العربية بدمشق.
- رياض الجنة أو معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي، الرباط ١٣٥٠ هـ.
- شيخ الشام جمال الدين القاسمي : لمحمود مهدي الاستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٤٠٥/١٩٨٥.
- فهرس دار الكتب المصرية، ٣/٢٤٢، ١٣٤٢-١٣٦١.
- فهرس الفهارس والأثبات لمحمد عبد الحي الكتاني، طبعة فاس ١٣٤٦ / ١٣٤٧هـ ١/٩٩ ، ٢٩٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧،

٥١٦، ٦٧٢، ٨٨٠، ٩٣٧.

■ فهرس مكتبة بلدية الاسكندرية ١٦، ١٣٢٤ – ١٣٤٩ هـ.

■ قاموس الصناعات الشامية لمحمد سعيد القاسمي ١٩١، معهد الدراسات العليا، دمشق ١٩٦٠.

■ المذكرات لمحمد كرد علي ٣ /٦٨٧ – ٦٩٧، دمشق ١٣٦٧ – ١٣٧٠.

■ مصادر الدراسة الأدبية ليوسف أسعد داغر ٣/١٠٠٠ – ١٠٠٥، بيروت ١٩٥٦.

■ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ص ١٤٨٣ – ١٤٨٦، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

■ معجم المؤرخين الدمشقيين للدكتور صلاح الدين المنجد ٣٩٧ دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٨.

■ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/١٥٧ و١١/٢٢٠، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥٧.

■ معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين لعبد القادر عياش ٤٠٨ – ٤٠٩، دار الفكر بدمشق ١٩٨٥.

■ مقدمة شرح لقطة العجلان للزركشي. تأليف جمال الدين القاسمي.

■ منتخبات التواريخ لدمشق لمحمد أديب تقي الدين الحصني ٢/٧١٦ ، المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٦/١٩٢٧.

■ الموسوعة الموجزة لحسان بدر الدين الكاتب مج٢، ٥/٥٦ – ٥٨، مطابع ألف باء – الأديب، دمشق ١٩٧٣.

ماكتب عنه في الدوريات

■ مجلة التمدن الإسلامي، السنة التاسعة عشرة ٧٦٤ – ٧٦٦ مقال للأستاذ حامد التقي، والسنة الثالثة والعشرون، ٧٩٠ – ٧٩٢ مقال للأستاذ حمدي السلفي.

■ مجلة الحقائق، السنة الأولى ٢٢١ – ٢١٥ مقال الأستاذ عارف المنير.

■ مجلة الرسالة، السنة الثالثة ١٠٧٩ مقال الأستاذ محمد كرد علي.

■ مجلة الزهراء، السنة الأولى ٦١ مقال للأستاذ محب الدين الخطيب.

■ مجلة العرفان، السنة الثالثة ٣١٠ – ٣١١، والسنة الرابعة ٣٧٧ – ٣٨٨ مقال الأستاذ كاشف الغطاء.

■ مجلة لغة العرب، السنة الأولى ٣٦١ – ٣٦٢، والسنة الثانية، ٢٠٩ – ٢١٠، مقال أنستانس ماري الكرملي.

■ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، السنة الثالثة والثلاثون، ٦٥٧ – ٦٦٠، مقال للأستاذ محمد بهجة البيطار، والسنة الخامسة والثلاثون، ٢٤٥ – ٢٥٢، مقال للأستاذ ظافر القاسمي.

■ مجلة المقتبس، السنة الثالثة ٢٨١، والسنة السادسة ٤٩٠، والسنة السابعة ١٥٤، والسنة الثامنة ١٠٥ و١١١ و٢٢٤ و٢١٥ و٦٢٧.

■ مجلة المنار ٧/١٧، ٥٥٨ – ٥٦٠ و٦٢٨ و٦٣٦، و ١٨/ ٥٦٥ – ٥٥٧.

■ مجلة النبراس ١/ ٢٧٤.

آثاره المخطوطة

اتبعنا في التعريف بها أن نذكر أولاً عنوان الكتاب، ثم مكان وجوده، يتلو ذلك فكرة موجزة عن الكتاب، ونختمها بذكر المصادر.

١ – أجوبة ومسائل.

■ في مكتبته عند أسرته.

■ جمع فيه الأجوبة التي أرسلها إلى بعض السائلين بين عام ١٣٢٩ و١٣٣٠ هـ في نحو خمسين صفحة من القطع الصغير وهو الجزء الأول.

■ كتاب جمال الدين القاسمي لولده ظافر القاسمي ٦٧٢.

٢ – الاحتياط للخروج من الخلاف.

■ في مكتبته عند أسرته.

■ في بضع صفحات لم يذكر فيها تاريخ.

■ جمال الدين القاسمي ٦٥٢.

٣ – آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي.

■ في مكتبته عند أسرته.

■ جرّده من مقدمة شرح المهذب للنووي، وانتهى منه سنة ١٣١٧ هـ . وجد بخاتمة نسخة أخرى : وتم العرض في أوائل شعبان ١٣١٨ هـ.

■ جمال الدين القاسمي ٦٤٨.

٤ – الآراء الفلسفية في الموت ، وفي علاج الخوف منه ، وفي رفع الأوهام منه وفي رحمة وجوده ، وفي أن الحياة الحقيقية بعد الموت.

■ في مكتبته عند أسرته.

■ في نحو ٢٨ صفحة من القطع الصغير.